الفصل الثالث

من خطب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأهم وصاياه

من خطب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه :

(١) خطبة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حين بايعه أهل الشورى بالخلافة

روى الطبرى، قال : لما بايع أهل الشورى عثمان رضي الله عنه خرج وهو أشد كآبة، فأتى منبر رسول الله ﷺ . فخطب الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبى ﷺ . وقال :

« إنَّكم فى دارِ قلعةٍ [1] ، وفى بقيةِ أعمارٍ، فبادروا آجالَكم بخيرِ ما تقدرونَ عليه، فلقدْ أتيتمْ، صبحتمْ أو مسيتمْ، ألا وإنَّ الدُّنيا طويتْ على الغرورِ، فلا تغرنَّكم الحياةُ الدُّنيا، ولا يغرنَّكم باللهِ الغرورُ، اعتَبِروا بمنْ مَضى ثم جِدُّوا ولا تَغفلوا، فإنَّه لا يَغفلُ عنكمْ، أينَ أبناءُ الدُّنيا وإخوانُها الذينَ آثروها وعَمروها، ومُتعوا بها طويلاً، ألمْ تلفظهمْ ؟ ارمُوا بالدُّنيا حيثُ رَمَى اللهُ بها ،واطلبوا الآخرةَ فإنَّ اللهَ قد ضربَ لها مَثلاً، والذى هو خيرٌ، فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(١) أى: انقلاع.

مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (١).

وأقبل الناس يبايعونه.

[تاريخ الطبرى (٥ / ٤٣)]

(٢) خطبته بعد البيعة

وقال أيضاً : خطب عثمان رضي الله عنه الناس بعد ما بويع، وقال :

« أمَّا بعدُ .. فإنِّى قد حملتُ وقد قبلتُ، ألاَ وإنِّى مُتَبِّعٌ، ولستُ بمبتدعٍ، ألاَ وإنَّ لكم علىَّ بعدَ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ ثلاثاً: اتِّباعَ مَنْ كانَ قَبْلِى فيما اجتمعتُم عليه وسَننتم، وسَنَّ سنةِ أهل الخيرِ فيما لم تَسنُّوا عَنْ ملأٍ، والكَفَّ عنكم إلا فيما اسْتَوجبتُمْ. ألاَ وإنَّ الدُّنيا خَضِرَةٌ قد شُهِّيَتْ إلى الناسِ ومالَ إليها كثيرٌ منهم، فلا تَركنوا إلى الدُّنيا، ولا تَثقوا بِهَا، فإنَّها ليستْ بثقةٍ، واعْلَموا أنَّها غيرُ تاركةٍ إلا مَنْ تَرَكَهَا » .

[تاريخ الطبرى (٥ / ١٤٩)]

❁❁❁

(١) سورة الكهف : ٤٥، ٤٦.

(٣) خطبة أخرى له لما ولى الخلافة

وروى أنه لما ولى عثمان رضي الله عنه الخلافة خطب الناس، فقال :

« الحمدُ لله، أيُها الناسُ .. اتَّقوا الله، فإنَّ الدُنيا ـ كما أخبرَ الله عنها ـ لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ ، فخيرُ العبادِ فيها من عصمَ واستَعصمَ (١) بالله وكتابه، وقد وكلتُ منْ أمْركم بعظيمٍ لا أرجو العَوْنَ عليه إلا منَ الله، ولا يُوفقُ للخيرِ إلاَّ هو..

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٢) ».

وذكر ابن كثير فى «البداية» عن الواقدى : أن عثمان رضي الله عنه لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

« أيُها الناسُ .. أَوَّلُ كلّ مركبٍ صعبٌ، وإنَّ بعدَ اليومِ أياماً، وإنْ أَعِشْ تَأتكُمُ الخُطَبُ عَلَى وَجْهِهَا إنْ شاء الله، وسيعلّمنا الله ..

وقال ابن قتيبة : لما ولى عثمان رضي الله عنه صعد المنبر، فجلس على ذروته، فرماه الناس بأبصارهم، فقال :

« إنَّ أَوَّلَ مركبٍ صعبٌ، وإنَّ معَ اليومِ أياماً، وما كُنَّا خُطَباءَ، وإنْ نَعِشْ لَكُم تأتكم الخطبةُ على وَجْهها، إنْ شاء الله تعالى ..

[عيون الأخبار (٢ / ٢٣٥)، والعقد الفريد (٢ / ١٣٣)]

---

(١) أى: تحصَّن باتباع الدين، وعصم نفسه فحصنها من الإثم. (٢) سورة هود : ٨٨.

(٤) خطبة له فى التقوى والعمل

وقال الحسن البصرى : خطب عثمان رضي الله عنه، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

« أيُّها الناسُ .. اتَّقوا الله، فإنَّ تَقوى اللهِ غُنْمٌ، وإنَّ أكيسَ الناسِ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لما بعدَ الموتِ، واكتسبَ مِنْ نورِ اللهِ نوراً لظلمةِ القبرِ، وليخشَ عبدٌ أنْ يحشرَه اللهُ أعمى وقدْ كانَ بَصيراً، واعْلَمُوا أنَّ مَنْ كانَ اللهُ لَهُ لم يَخَفْ شَيئاً، ومَنْ كان اللهُ عليهِ، فمنْ يَرجو بعدَه ؟» .

[أخرجه ابن عساكر، وابن كثير فى «البداية»]

❑❑❑

(٥) خطبة له فى الاستعداد للموت

وقال مجاهد : خطب عثمان رضي الله عنه، فقال :

«ابنَ آدم .. اعلمْ أنَّ ملكَ الموتِ الذى وُكِّلَ بكَ لَمْ يزلْ يُخلفكَ ويتَخطَّى إلى غيركَ منذُ أنتَ فى الدُّنيا، وكأنَّه قد تَخطَّى غيركَ إليكَ

وقَصدَكَ؛ فَخُذْ حذْرَكَ واستعدَّ له ولا تَغفلْ فإنَّه لا يغفلُ عنكَ. واعلم - ابنَ آدم - أنَّكَ إنْ غفلتَ عن نفسكَ ولم تستعدَّ لها لم يستعدَّ لها غيرُكَ، ولابدَّ منْ لقاءِ اللهِ، فخذْ لنفسكَ ولا تَكلْها إلى غيرِكَ.. والسَّلام ..

[ذكره ابن كثير فى «البداية»]

(٦) خطبة لعثمان فى بدء الفتنة

فقد بعث عثمان رضي الله عنه فى بدء الفتنة إلى عمال الأمصار فقدموا عليه، فقال :

«وَيْحَكُمْ .. مَا هذه الشكاية، وما هذه الإذاعَة ؟ إنى واللهِ لخائفٌ أنْ تكونوا مصدوقاً عَليكم، وما يعصبُ هذا إلا بى... ثم قال : «أشيروا علىَّ» .. فأشار عليه كل بما يراه.

وقام عثمان رضي الله عنه، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال :

«كلُّ ما أَشرتم به علىَّ قد سمعتُ، ولكل أمرٍ بابٌ يُؤتَى منه ! إنَّ هَذا الأمرَ الذى يُخَافُ على هذه الأمة كائنٌ، وإنَّ بابَهُ الذى يُغلقُ عليه فيكفكفُ به اللينُ والمؤاتاةُ والمتابعةُ إلا فى حدود الله تعالى ذكرُه، التى لا يستطيعُ أحدٌ أن يُبادى بعيبِ أحدها، فإنْ سدَّه شىء فرفق،

فذاكَ واللهِ ليُفتحنَّ، وليستْ لأحدٍ علىَّ حجةٌ حقٌ، وقَدْ علمَ اللهُ أنّى لم آلُ الناسَ خيراً ولا نَفْسى، ووالله إنَّ رَحَى الفتنةِ لدائرةٌ، فطُوبَى لعثمانَ إنْ ماتَ ولم يُحرِّكْها، كَفكفوا الناسَ وهَبُوا لهم حُقوقَهم، واغْتَفِروا لهمْ، وإذا تُعوطِيتْ حقوقُ اللهِ فَلا تَدهنوا فِيهَا ».

[تاريخ الطبرى (٥ / ١٠٠)]

❑❑❑

(٧) خطبة أخرى لما حدثت الفتنة

ولما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال إلى الأمصار، ثم رجعوا جميعاً إلى المدينة إلا من كان بالشام، فأخبروا عثمان بخبرهم، فقام عثمان رضي الله عنه فى الناس خطيباً، فقال :

« يا أهلَ المدينةِ .. أنتُم أصلُ الإسلامِ، وإنما يفسدُ الناسُ بفَسادِكم، ويصلحونَ بصَلاحكم، واللهِ واللهِ واللهِ لا يَبْلُغَنِّى عنْ أحدٍ منكم حدثٌ أَحْدَثَه إلا سَيَّرته. ألاَ فلا أعرفنَّ أحداً عرضَ دونَ أولئكَ بكلامٍ ولا طلبٍ، فإنَّ مَنْ كانَ قبلَكم كانتْ تُقطع أَعضَاؤهُم دونَ أن يتكلمَ أحدٌ منهم بما عليهِ ولا لَهُ.

وأَيمُ اللهِ لآخُذَنَّ العَفْوَ مِنْ أخلاقِكم ولأبذلنَّه لَكُم من خُلقى، وقَدْ دَنَتْ

أُمـورٌ، ولا أحبُّ أنْ تحلَّ بِنا وبِكُم، وأنا على وَجَلٍ وحَـذَرٍ، فـاحْـذَروا واعْتَبِروا».

[تاريخ الطبرى (٥/ ١٣٥)]

(٨) خطبته حين نقم عليه الناس

وخطب عثمان رضي الله عنه حين نقم عليه الناس ما نقموا، فقال:

«أمَّا بعدُ .. فإنَّ لكلّ شيءٍ آفةً، وإنَّ لكلّ نعمةٍ عاهةً، وإنَّ آفةَ هذه الأمة، وعاهةَ هذه النعمة، عَيَّابون طَنَّانون، يُظهرونَ لكم ما تُحبُّونَ، ويُسِرُّونَ ما تكرهونَ، يقولونَ لكم وتقولونَ، طغامٌ [١] مِـثْلُ النَّعَام، يتبعون أوَّلَ ناعقٍ، أحبُّ مواردهمْ إليهم النَّازحُ [٢]، لا يَشربونَ إلا نَغـصـا [٣]، ولا يَردُون إلا عكرًا، لا يقومُ لهم رائدٌ، وقد أعيتهم الأمورُ، وتعذَّرتْ عليهم المكاسبُ.

لقدْ أقررتم لابنِ الخطاب بأكثر ممَّا نقمْتُمْ علىَّ، ولكنَّه وَطِئكم برجله، وضَربكم بيده، ووقَمكم وقَمعكم [٤] وزجركم زجرَ النعام المخزَّمة [٥]، فدنْتُم له على ما أحببتُم أو كرهتُم، ولنتُ لكمْ وأوطأتُ كَنَفى، وكففتُ يدى ولسانى عنكم، فاجترأتُم علىَّ.

---

(١) أى: أوغاد الناس، الواحد والجمع فيه سواء.

(٢) النازح: الذى نزح ماؤه أى: غاض وقل أو بعد. (٣) نغص البعير: لم يتم شربه.

(٤) وقم الدابة: جذب عنانها، ووقمه: قهره وأذله، وقمعه: ضربه بالمقمعة وقهره وأذله.

(٥) خزم البعير: جعل فى جانب منخره الخزامة.

أمَا واللهِ إنِّى لأقربُ ناصراً، وأعزُّ نَفَراً، وأكثرُ عَدداً، وأَقْمَنُ - إنْ قلتُ: هَلُمَّ - أنْ تُجابَ دَعوتى مِنْ عُمَرَ.

ولقدْ أعددتُ لكم أَقرانكم، وأفضلتُ عَليكم فُضولاً، وكشَّرتُ لَكُم عَنْ نَابِى، وأَخرجتُم منِّى خُلقاً لم أكنْ أُحسنه، ومَنطِقاً لم أنطقْ به.

فَكُفُّوا عَليكم أَلسنتَكم وطَعْنَكم،وعَيْبَكم على وُلاتكم، فإنِّى قَدْ كففتُ عنكم مَنْ لو كانَ هو الذى يُكلمكم لرضيتُم منه بدونِ مَنطقى هذا.

ألاَ فمَا تَفقدونَ مِنْ حقِّكم ؟ .. فواللهِ: ما قصَّرتُ فى بلوغِ ما كانَ يبلغُ مَنْ كانَ قَبلى ، ومَنْ لم تكونوا تختلفونَ عليه ، فضلَ فضلٌ مِنْ مَـالِى[1] .. فما لِى أصنعُ فى الفَضْلِ ما أُريد ؟.. إذنْ فلِمَ كنتُ إماماً ؟» .

[تاريخ الطبرى (٥ / ٩٧)، وإعـجاز القرآن (١١٨)، وصـبح الأعشى (١ / ٢١٤)، والبيان والتبيين (١ / ٢٠٠)] .

❑❑❑

(٩) خطبته التى نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة

فقد حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

---

(١) الفضل : الزائد من المال، أى: لماذا لا أصنع ما أريد ؟.

« أمَّا بعدُ أيُّها الناسُ .. فواللهِ ما عابَ مَنْ عابَ منكم شيئاً أجهله، وما جئتُ شيئاً إلا وأنا أعرفه، ولكنْى منَّتنى نفْسى وكذبتنى، وضلَّ عنّى رُشدى، ولقد سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ ، يقول :

« مَنْ زَلَّ فَلْيَتُبْ، ومَنْ أخطأ فَلْيَتُبْ، ولا يَتَمَادَى فى الهَلَكَةِ، إنَّ مَنْ تَمادَى فى الجَورِ، كانَ أبعدَ منَ الطَّرِيقِ ..

فأنا أوَّلُ مَن اتَّعَظَ، أستغفرُ اللهَ مما فعلتُ، وأتوبُ إليه، فمثلى نزعَ وتابَ، فإذا نزلتُ فليأتنى أشرافُكم، فليُرونى رأيهم، فواللهِ لئنْ ردَّنى الحقُّ عبداً لأستنَنَّ بسُنَّةِ العبدِ، ولأذلنَّ ذلَّ العبدِ، ولأكوننَّ كالمرقوقِ، إنْ مُلِكَ[1] صَبَرَ، وإنْ عُتِقَ شَكَرَ، وما عَنِ اللهِ مَذهبٌ إلا إليه، فلا يعجزنَّ عنكم خيارُكم أنْ يَدنوا إلىَّ، لئنْ أبتْ يَمينى لتتابعنى شمالى ..

[تاريخ الطبرى (٥/ ١١١)، والكامل لابن الأثير (٣/ ٨٠)]

(١٠) خطبته فى الرد على الثوار

وقال رضي الله عنه يردُّ على الثوار :

« الحمدُ للهِ، أحمدُه، وأستعينُه، وأُومنُ به، وأتوكلُ عليه، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَهُ بالهُدى ودينِ الحقِّ ليظهرَهُ على الدِّينِ كُلِّه، ولو كرِهَ المشركونَ.

(١) ملك : بضم الميم وكسر اللام وفتح الكاف.

أمَّا بعدُ .. فإنَّكم لمْ تَعدلوا فى المنطق، ولم تُنصفوا فى القَضاء. أمَّا قَولُكم تخلعُ نَفْسَكَ، فَلا أنزعُ قَميصاً قَمَّصَنِيهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، وأكرمَنى به، وخَصَّنى بهِ على غَيرى، ولكنّى أتوبُ وأنزعُ، ولا أعودُ لشىءٍ عَابَهُ المسلمونَ، فإنّى - واللهِ - الفقيرُ إلى اللهِ، الخائفُ منه ».

قالوا :

إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه، ولم تقم عليه، لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك ... إلى آخر ما قالوا.

فقال عثمان :

« أمَّا أنْ أتبرَّأَ منَ الإمارةِ، فأنْ تَصلبونى أَحبُّ إلىَّ منْ أنْ أتبرَّأَ منْ أمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وخلافته، وأمَّا قَولُكم تقاتلونَ منْ دُونى، فإنّى لا آمرُ أحداً بقتالكم، فمَنْ قَاتَلَ دُونى فإنَّما قاتلَ بغيرِ أَمْرى، ولَعَمْرى لو كنتُ أريدُ قتالكم، لقدْ كنتُ كتبتُ إلى الأجنادِ، فَقَادوا الجنودَ، وبعثوا الرجالَ، أو لحقتُ ببعض أطرافى بمصرَ أو العراقِ، فاللهَ اللهَ فى أنفسكم، فأَبقوا عَليها إنْ لَم تُبقوا علىَّ، فإنَّكم مُجتلِبونَ بهذا الأمرِ - إنْ قتلتمونى - دَماً ».

فانصرفوا عنه، وآذنوه بالحرب.

[تاريخ الطبرى (٥/ ١٢١)، والكامل لابن الأثير (٣/ ٨٤)]

(١١) خطبته وقد اشتد عليه الحصار

ولما اشتد الحصار عليه أرسل إلى عليٍّ وطلحة والزبير، فحضروا، فأشرف عليهم، فقال رضي الله عنه :

« يا أيُّها الناسُ .. اجْلِسوا .. فجلسوا المحارب والمسالم..

فقال لهم: « يا أهلَ المدينة .. أستودعكم الله، وأسأله أنْ يحسنَ عليكم الخلافةَ منْ بعدى، .. ثم قال :

« أنْشدُكُمْ باللهِ هَلْ تعلمونَ أنكم دعوتُم اللهَ عندَ مُصابِ عمرَ أنْ يختارَ لكم، ويجمعكم على خيركم ؟ أتقولون إنَّ الله لم يستجبْ لكم، وهُنْتُمْ عليه، وأنتمْ أهلُ حقِّه؟ أم تقولونَ هانَ على الله دينُه، فلم يبالِ مَنْ ولى، والدِّين لم يتفرقْ أهلُه يومئذٍ ؟ أم تقولونَ لم يكنْ أخذَ عن مشورةٍ، إنما كانَ مكابرةً، فوكلَ اللهُ الأمَّةَ إذْ عَصَتْهُ، ولم يُشاوروا فى الإمامة، أم تقولونَ إنَّ اللهَ لم يعلمْ عاقبةَ أمْرى ؟ أنشدكُمْ باللهِ أتعلمونَ لى منْ سابقةِ خيرٍ، وقَدَمِ خيرٍ، قَدَّمَهُ اللهُ لى يحقُّ على كلّ مَنْ جاءَ بعْدى أن يعرفوا لى فَضْلَها ؟ فمَهلاً لا تَقتلونى، فإنَّه لا يحلُّ إلا قتلُ ثلاثةٍ : رجلٍ زَنا بعدَ إحْصانه، أو كفرَ بعدَ إيمانه، أو قتلَ نفساً بغيرِ حقٍّ، فإنَّكم إذا قَتلتمونى وَضعتم السَّيفَ على رِقابكم، ثُمَّ لم يرفعِ اللهُ عنكم الاختلافَ أبداً. .

[تاريخ الكامل لابن الأثير (٣/ ٨٤)]

(١٢) خطبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان
فى التقوى والتحذير من سوء السرائر

أخرج ابن جرير، وابن حاتم، عن الحسن، قال : رأيت عثمان رضي الله عنه على المنبر، قال :

« يا أيُّها الناسُ .. اتَّقوا اللهَ فى هذهِ السَّرائرِ فإنِّى سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول :

« والَّذى نَفْسُ محمدٍ بيدهِ .. مَا عَمِلَ أحدٌ عَملاً قَطُّ سِرّاً إلاَّ أَلْبسَهُ رِدَاءه علانية، إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شرّاً فشرٌّ » .

ثم تلا هـذه الآية : (وَرِيَاشـاً) ـ ولم يـقل ـ : ﴿ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (١).

قال : (السَّمْتُ الحسَن) ».

[كذا فى الكنز (٢/ ١٣٧)]

❑❑❑

(١) سورة الأعراف : ٢٦.

(١٣) خطبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان
فى الترغيب فى عيادة المرضى وتشييع الجنائز

وأخرج أحمد ،والبزار، والمروزى، والشاشى، وأبو يعلى، وسعيد بن منصور، عن عباد بن زاهر، قال : سمعت عثمان رضي الله عنه يخطب، فقال:

« **إنَّا واللهِ قد صَحِبْنَا رسولَ الله ﷺ فى السَّفَرِ والحَضَرِ، وكانَ يعودُ مَرْضَانا، ويشيِّع جنائزنا، ويَغزو معنا، ويُواسينا بالقليلِ والكثيرِ، وإنَّ ناساً يُعلمونى به عسَى أنْ لا يكونَ أحدُهم رآه قَطُّ.**

[كذا فى الكنز (٤/ ٤٤)]

قال الهيثمى (٧/ ٢٢٨) : رواه أحمد، وأبو يعلى فى «الكبير»، وزاد: « فقال له أعين ابن امرأة الفرزدق : يا نعثل .. إنكَ قد بدَّلت. فقال : «**مَنْ هَذا ؟** ». فقالوا : أعين. فقال : «**بل أنتَ أيها العبدُ**». قال: فوثب الناس إلى أعين ، قال : وجعل رجل من بنى ليث يزعهم [١] عنه حتى أدخله داره» . ورجالهما رجال الصحيح ، غير عباد بن زاهر ، وهو ثقة ـ اهـ.

---

(١) يزعهم : يمنعهم.

(١٤) خطبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان
حول النهى عن تكليف الصغير الكسب حتى لا يسرق

وأخرج الشافعى ، والبيهقى (٨ / ٩) عن مالك، عن عمه أبى سهيل ابن مالك، عن أبيه، أنه سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول فى خطبته :

« **لا تُكَلِّفُوا الصغيرَ الكَسْبَ فإنَّه مَتَى كلَّفتموه الكَسْبَ سَرَقَ، ولا تُكلِّفوا الأمَةَ غيرَ ذاتِ الصنعةِ الكَسْبَ فإنَّكم إنْ كلَّفتموها الكَسْبَ كَسبَتْ بِفَرْجِهَا.. عِفُّوا إذْ أَعَفَّكُم الله.. وعَليكُم مِنَ المطاعِمِ بما طابَ مِنها** » .

قال البيهقى : «ورفعه بعضهم عن عثمان من حديث الثورى، ورفعه ضعيف».

[كذا فى الكنز (٥ / ٤٧)]

❧❧❧

(١٥) خطبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان
فى التحذير من الميسر

وأخرج البيهقى، عن زيد بن الصلت، أنه سمع عثمان رضي الله عنه وهو على المنبر، يقول :

« يا أيُّها الناسُ .. إيَّاكم والمَيْسرَ - يريد النَّرْدَ - فإنَّها قَدْ ذُكرتْ لى أنَّها فى بيوتِ ناسٍ منكم، فمن كانَ فى بيتِه فليَحرقها أو يَكسرها، .

وقال عثمان مرة أخرى، وهو على المنبر :

« يا أيُّهـا الناسُ .. إنّى قَـدْ كلَّمـتُكم فى هذا النَّرْدِ ولم أَرَكُمْ قَـدْ أَخرجتُموها، فلقدْ هَمَمْتُ أنْ آمرَ بحزمِ الحطبِ ثم أُرسلَ إلى بيوتِ الذين هُنَّ فى بُيوتِهم فأَحرقَها علَيهمْ ، .

[كذا فى الكنز (٧ / ٣٣٤)]

(١٦) خطبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان حول إتمام الصلاة بمنى

وأخـرج البيـهقى، وابن عـساكر، عن سـالم مولى عـبد الرحـمن بن حميد، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أتم الصلاة بمنى، ثم خطب الناس فقال:

« أيُّها الناسُ .. إنَّ السُّنَّةَ سُنَّةُ رسولِ الله ﷺ وسُنَّةُ صَاحبيه، لكنْ حدثَ العَام مِنَ الناسِ فخفتُ أنْ تستنُّوا ، .

[كذا فى الكنز (٤ / ٢٣٩)]

(١٧) خطبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان حول التذكير ببيت الوحدة، وبيت الغربة، وهو القبر

وأخرج ابن عساكر، عن قتيبة بن مسلم، قال : خطبنا الحجاج بن يوسف، فذكر القبر، فما زال يقول : إنه بيت الوحدة وبيت الغربة ـ حتى بكى وأبكى مَنْ حوله، ثم قال : سمعتُ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول : سمعت مروان يقول فى خطبته :

« خَطَبَنَا عثمانُ بنُ عفان فقالَ فى خطبةٍ : ما نظرَ رسولُ الله ﷺ إلى قبرٍ وذَكَرَهُ إلا بَكَى » .

[كذا فى الكنز (٨ / ١٠٩)]

❑❑❑

(١٨) خطبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان فى النهى عن البيع بربح

وأخرج أحمد (١/ ٦٢) عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعت عثمان رضي الله عنه يخطب على المنبر وهو يقول :

« كنتُ أبتاعُ التَّمرَ منْ بطنٍ منَ اليهودِ يُقالُ لهم بنُو قَيْنُقَاع فأَبيعهُ بربحٍ، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال :

« يَا عثمانُ، إذا اشْتَريتَ فاكْتَلْ، وإذا بِعْتَ فَكِلْ » .

❑❑❑

(١٩) خطبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان
فى الأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام

وأخرج أحمد (١/ ٧٢) عن الحسن. قال :

« شهدتُ عثمانَ يأمرُ فى خطبتِه بقتلِ الكلابِ، وذبحِ الحَمامِ ..

(٢٠) آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين
عثمان بن عفان فى التحذير من حب الدنيا ..
والترغيب فى الأعمال الصالحة

وأخرج ابن جرير الطبرى فى تاريخه (٣/ ٤٤٦) من طريق سيف. عن بدر بن عثمان، عن عمه. قال : آخر خطبة خطبها عثمان ﷺ فى جماعة:

« إنَّ اللهَ ـ عَزَّ وجلَّ ـ إنَّما أعطاكُمُ الدُّنيا لتَطلُبوا بها الآخرةَ، ولم يُعطكموها لتَركنوا إليها، إنَّ الدُّنيا تَفْنَى والآخرةَ تَبْقَى، فلا تُبطرنَّكم الفانيةُ، ولا تَشْغلنَّكم عَنِ الباقيةِ، فآثروا ما يَبْقَى على ما يَفْنَى فإنَّ الدُّنيا مُنقطعةٌ وإنَّ المصيرَ إلى اللهِ. اتَّقُوا اللهَ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ فإنَّ تَقواه

جُنَّةٌ[1] مِنْ بأسه ووسيلةٌ إلى ما عنده، واحْذَروا مِنَ اللهِ الغِيَرَ، والْزَمُوا جَمَاعتكم، لا تَصيروا أحزاباً :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [2].

[وقد ذكرها ـ كذلك ـ ابن كثير]

□□□

(١) جُنَّة : بضم الجيم، أى: وقاية.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣ .

ومن وصايا عثمان بن عفان رضي الله عنه

أخرج الفضائلى الرازى، عن العلاء بن الفضل، عن أمه، قال : لما قُتِلَ عثمان رضي الله عنه فتَّشوا خزانته، فوجدوا فيها صندوقاً مُقفلاً، ففتحوه فوجدوا فيه ورقة مكتوب فيها :

« هذه وَصِيَّة عثمان : بسم الله الرحمن الرحيم

عثمانُ بنُ عَفان يشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ الجنَّةَ حَقٌّ، وأنَّ النَّارَ حقٌّ، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ فى القبورِ ليومٍ لا رَيْبَ فيه، إنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الميعادَ، عَلَيها يَحْيَا، وعليها يموتُ، وعليها يُبْعَثُ إنْ شاءَ اللهُ.

وأخرجه أيضاً نظام الملك، وزاد :

ووجدوا فى ظهرها مكتوباً :

غِنَى النَّفْسِ يُغْنِى النَّفْسَ حتَّى يُجِلَّها ... وَإنْ غَضَّها حتَّى يُضِرَّ بها الفَقْرُ

وَمَا عُسْرَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا إنْ لَقِيْتَهَا ... بِكَائِنَةٍ.. إلا سَيَتْبَعُهَا يُسْرُ

وَمَنْ لَمْ يُقَاسِ الدَّهْرَ لَمْ يَعْرِفِ الأَسَى ... وَفِى غَيْرِ الأَيَّامِ مَا وَعَدَ الدَّهْرُ

[كذا فى كتاب « الرياض النضرة فى مناقب العشرة » للمحب الطبرى (٢/ ١٣٣)].

وأخرج أبو أحمد، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، قال :

دخل أبو قتادة ورجل آخر على عثمان ﷺ وهو محصور. فاستأذناه فى الحج فأذن لهم. فقالا له : إن غَلَبَ هؤلاء القوم مع مَنْ نكون ؟ قال : **عليكم بالجماعة**. قال : فإن كانت الجماعة هى التى تغلبُ عليكَ مع مَنْ نكون ؟. قال : **فالجماعة حيث كانت**. فخرجنا فاستقبلنا الحسن بن على ﷺ عند باب الدار داخلاً على عثمان ﷺ. فرجعنا معه لنسمعَ ما يقول. فسلَّم على عثمان، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين .. مُرْنى بما شئتَ. فقال عثمان : « **يا بنَ أخى .. ارجعْ واجلسْ حتَّى يأتىَ الله بأمره** ».

فخرج، وخرجنا معه، فاستقبلنا ابن عمر ﷺ داخلاً على عثمان ﷺ، فرجعنا معه نسمع ما يقول. فسلَّم على عثمان ﷺ ثم قال : يا أميرَ المؤمنين .. صَحبتَ رسول الله ﷺ فَسَمِعْتَ وأطعتَ، ثُمَّ صحبتَ أبا بكر ﷺ فسَمِعتَ وأطعتَ، ثم صحبتَ عمر ﷺ فسمعتَ وأطعتَ، ورأيت له حق الوالد وحق الخلافة ، وها أنا.. طوع يديك ـ يا أمير المؤمنين ـ فَمُرْنى بما شئتَ. فقال عثمان ﷺ :

« **جَزَاكُمُ اللهُ يا آلَ عمرَ خيراً ـ مرتين ـ لا حاجةَ لى فى إراقةِ الدَّمِ** ».

[كذا فى «الرياض النضرة فى مناقب العشرة» (٢ / ١٦٩)]

وأخرج أبو عمر عن أبى هريرة ﷺ قال : إنى محصور مع عثمان ﷺ فى الدار. قال : فَرُمِىَ رجُلٌ منا[1] ، فقلت : يا أمير المؤمنين، الآن طاب الضِّراب ، قتلوا منا رجلاً. فقال ﷺ :

« عَزَمْتُ عليكَ يا أبا هريرةَ إلاَّ رَمَيْتَ سَيْفَكَ، فَإنَّما تُرَادُ نَفْسِى؛ وسأَقِى المؤمنينَ بِنَفْسِى » .

قال أبو هريرة ﷺ : فرميت سيفى لا أدرى أين هو حتى الساعة.

[كذا فى «الرياض النضرة فى مناقب العشرة» (٢ / ١٢٩)]

□□□

(١) أى: رُمِىَ بسهم من الخارج.

استشهاد عثمان رضي الله عنه

وبعد أن تقلَّد عثمان بن عفان رضي الله عنه مقاليد الخلافة، وقام بمسئوليتها خير قيام، وبعد أن كثرت الفتوحات الإسلامية فى خلافته شرقاً وغرباً، وامتدت رقعة الدولة الإسلامية امتداداً عظيماً.

شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهذا الخليفة الورع «ذى النورين» (١) وأحد العشرة المبشرين بالجنة.. شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ له أن يموت شهيداً، بسبب فتنة أشعلها «عبد الله بن سبأ» ضد عثمان رضي الله عنه، وخلاصة ما جاء فى هذا، هو أن ابن سبأ هذا ـ أو ابن السوداء ـ وقد كان يهودياً من أهل صنعاء، أسلم فى عهد عثمان؛ لا رغبة فى الإسلام، وإنما لغاية فى نفسه وهى أن يحدث بين المسلمين فتنة عامة تضعف قوتهم، وتفرق شملهم وتمزق وحدتهم .. شأنه فى ذلك شأن جميع أعداء الإسلام.

وقد بدأ ابن سبأ فتنته بالحجاز ثم البصرة، ثم الشام، ولكنه لم يستطع أن يبذر فيها بذور الفتنة فارتحل إلى مصر، وفيها استطاع أن يكوِّن أول جمعية سرية لهدم الإسلام، وجلس ابن سبأ إلى الناس يحدثهم حديث البهتان والضلالة ويقول لهم: «إنِّى لأَعْجَبُ ممن يصدِّق أن عيسى يرجع، ويكذِّب أن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل:

---

(١) أى: الذى زوَّجه الرسول صلى الله عليه وسلم ابنتين من بناته، وبعد أن ماتتا قال له: «لو كانت عندنا ثالثة لزوَّجناكها».

﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (١) :

أى: فمحمد أحق بالرجوع من عيسى» .. وقَبِلَ هذا القول كثيرٌ من الناس الذين استطاع أن يؤثر عليهم؛ لأنه ـ كما يقولون ـ كان على علم وفقه بعقائد اليهود والأمم السابقة.

ثم أخذ يقول لجلسائه بعد ذلك : «إنه كان لكل نَبِىٍّ وَصِىٌّ، وعلى بن أبى طالب وَصِىُّ محمد ، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ، وإن عثمان أخذها بغير حق ـ فانهضوا فى هذا الأمر وابدأوا بالطعن على أمرائكم».. ثم أخذ ابن السوداء يبث دعاته فى كل مصر، ويكاتبهم ويدعوهم سراً إلى دعوته حتى استطاع أن ينشئ لجمعيته السرية فروعاً وشُعَباً.. وقد ساعدته الظروف على هذا لأن عثمان ﷺ كان يحب أقرباءه وأهل بيته ويولِّيهم الإمارات والولايات ويعظم لهم العطايا والهبات..

وإذا كان عثمان ﷺ قد دافع عن نفسه، وكان له رأيه فى هذا الذى أخذوه عليه ؛ إلا أنه كان سبباً فى إشعال الفتنة ضده ، وضد ولاته.

فقد بدأ الناس فى الأمصار يطعنون على أمرائهم ويبعثون إلى عثمان يطلبون عزلهم وتولية غيرهم، وأرسل عثمان إلى أهل الرأى والمشورة ليشاورهم فى الأمر، فلما اجتمعوا عنده قال لهم :

---

(١) معاد ـ هنا ـ أى: مكة، وذلك وعد من الله لرسوله ﷺ برده إليها بعد هجرته منها ـ والآية من سورة القصص : ٨٥.

« إنَّ لكلِّ امرئٍ وزراءَ ونُصَحاءَ، وإنَّكم وُزرائى ونُصحائى وأهلُ ثِقتى وقد صنعَ الناسُ ما قَدْ رَأيتُم ، وطَلبوا إلىَّ أن أعزلَ عُمَّالى.. فاجْتهِدوا رَأيكم وأَشيروا علىَّ» .

فأشاروا أن يشغلهم بالجهاد أو أن يعطيهم بعض الأموال؛ ليعطف قلوبهم عليه .. ولكن عثمان أَبَى أن يعمل بمشورتهم.

وتطورت الأمور تطوراً عجيباً، وظل ابن سبأ يعمل بالليل والنهار؛ يؤلِّب الناس على ولاتهم وعلى عثمان ، ويدعو بالخلافة لعلى بن أبى طالب ، حتى شاءت المصادفات أن يدخل جماعة من المصريين على أميرهم عبد الله بن سعد فى مسألة من المسائل، ولكنه ردَّهم رداً غير جميل، وأمر بضربهم؛ فخرجوا حاقدين عليه.. وسمع ابن سبأ بذلك فذهب إليهم وحَدَّثهم، فزادهم حقداً وغضباً على ابن سعد .. وأمَرهم أن يجمعوا جمعاً كبيراً ثم ينطلقوا إلى عثمان بالمدينة ويسألوه أن يعزل واليهم .. وخرج المصريون فعلاً ـ ومعهم ابن السوداء ـ حتى أتوا المدينة.. وقابلوا عثمان، وطلبوا منه أن يعزل ابن أبى السرح (١).. فقال لهم : «اخْتَاروا رَجُلاً مَكَانَهُ» .. فاختاروا محمد بن أبى بكر ـ وكان معهم ـ وكتب عثمان عهده وولاَّه، وأمرهم أن يرجعوا إلى مصر، وأرسل معهم جماعة من المهاجرين والأنصار لإصلاح ذات البين.

---

(١) وهو أخ لعثمان من الرضاع.

وبينما كان القوم فى الطريق ـ بعد مسيرة ثلاثة أيام من المدينة ـ شاهدوا غلاماً أسود راكباً على بعير مقبلاً من بعيد فظنوا أنه يقصدهم فانتظروه ولكنه مر بهم ولم يلتفت إليهم. فأسرع جماعة منهم خلفه وأمسكوه .. ثم قالوا له : من أنت وما شأنك. كأنك طالب أو هارب؟ قال : أنا غلام أمير المؤمنين وجَّهنى إلى عامل مصر.

قالوا : هذا عامل مصر (وأشاروا إلى محمد بن أبى بكر) ..

فقال : ليس هذا أريد. قالوا: أمعك كتاب ؟ قال : لا . ففتشوه فوجدوا معه كتاباً فى أنبوبة من الرصاص. وأخذ محمد بن أبى بكر الكتاب وفَضَّهُ أمام من معه فإذا فيه : « إذا أتاكَ محمد بن أبى بكر وفلان وفلان فاحْتَلْ فى قتلهم، وأَبْطِلْ كتابه، وقَرَّ على عملك حتى يأتيك رأيى فى ذلك إن شاء الله».

وفزع القوم عندما قرأوا الكتاب .. ورجعوا إلى المدينة. وقابلوا بعض أعلام الصحابة وشكوا إليهم عثمان .. فقام جماعة منهم ومعهم على بن أبى طالب. والغلام. والكتاب. ودخلوا على عثمان. فقال علىٌ له : هذا الغلام غلامك ؟. قال عثمان: نعم.

قال على: والبعير بعيرك؟. قال عثمان: نعم. قال على: والخاتم خاتمك؟. قال عثمان: نعم. قال على: فأنت كتبتَ هذا الكتاب؟. قال

عثمان : لا، واللهِ ما كتبتُ هذا الكتابَ ولا أمرتُ بهِ ولا علِمَ لى بهِ، ولا وَجَّهتُ الغُلام إلى مصرَ قَطُّ .

فقال على : لا يحلف عثمان إلا صادقاً، فهو برىء من هذا الأمر.

ونظر القوم إلى خط الكتاب فعرفوا أنه خط مروان بن الحكم ـ وكان وزير عثمان ومستشاره الأول ـ فقالوا لعثمان: أعطنا مروان بن الحكم ـ وكان موجوداً بدار عثمان ـ فأبى عثمان خوفاً عليه أن يقتلوه، فطلبوا من عثمان أن يخلعَ نفسه قائلين : ما أنت إلا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحققت أن تُخلع لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حق، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تُخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك فاردُدْ خلافتنا واعتزلْ أمرنا؛ فإن ذلك أسلم لنا منك وأسلم لك منا .. ثم تركه القوم وخرجوا فحاصروا داره.

وصادف أن كان الحصار هذا فى موسم الحج، فاتصل ابن سبأ بأهل الكوفة وأهل البصرة، فانضموا إلى إخوانهم الثائرين؛ والتفَّ حولهم جماعة من جفاة الأعراب؛ وبذلك بدأت الثورة تستكمل حلقاتها .. وأرسل عثمان إلى أهل الأمصار كتباً يستغيثهم ويستنجد بهم.

ومرت الأيام، وانقضى على حصار عثمان ثمانى عشرة ليلة، ثم رأى الثائرون أن يحولوا بين عثمان وبين الناس.. فمنعوا أن يصل إليه أى شىء ، حتى الماء.

ولما علم على بن أبى طالب ﷺ أن الخليفة فى خطر .. أرسل ولديه: الحسن والحسين، ومعهما عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ليحرسوا الخليفة، ويمنعوا الثائرين.. ولكن الثورة اشتدت وطغت، وأصبحت حياة الخليفة فى خطر محقَّق.

وعندما جاءت لحظة الكارثة؛ هجم الثوار، فحطموا باب الدار، فهبَّ الحسن والحسين وطلحة والزبير ـ عليهم رضوان الله ـ واشتبكوا مع الثوار فى معركة جُرح فيها الحسن بن على.. ولكن الثوار تغلَّبوا على المدافعين عن عثمان .. وتسلَّقوا جدران الدار.

وتقدَّم محمد بن أبى بكر إلى الخليفة فجذبه من لحيته، فنظر إليه الخليفة فى ضعف وقال له : «**يا بنَ أخى .. دَعْ لحيتى ، فوالله لقدْ كان أبوكَ يُكرمها، ولو رآكَ فى مكانكَ هذا لاسْتَحيا منكَ**» .. فدارت الأرض تحت قدمى محمد بن أبى بكر .. فخرج وهو يبكى، وأعمل سيفه فى الثائرين ضد الخليفة.

ثم حلَّت الفاجعة .. فدخل عليه بعض الثائرين وهو يقرأ القرآن الكريم، فضربه أحدهم بالسيف ضربة أصابت يده .. فأسرعت نائلة زوجته ﷺ ترد عنه الضربات ، فأصابتها ضربة قطعت إصبعها.

وتوالت عليه الطعنات وهو ساكن لا يتحرك ، ووجهه شاخص فى المصحف الشريف .. حتى انكفأ جثمانه الطاهر فوق المصحف فخضَّبه بدمائه البريئة.. وقد اغتاله الثائرون وهو فى سن الثمانين [1]، وهو صائم .. فرحم الله عثمان بن عفان، ورضى عنه، وأسكنه فسيح جناته.

وبعد أن فرغ الثوار من اغتيال عثمان بن عفان ﷺ توجَّهوا إلى على ابن أبى طالب ﷺ وعرضوا عليه الخلافة فرفضها، ثم عرضوها على طلحة والزبير ـ وهما من كبار الصحابة ـ فرفضاها.

فاجتمع كثير من وجوه المسلمين وقالوا لعلى بن أبى طالب ﷺ : كيف ترفض الخلافة وتترك المسلمين بلا إمام يسوسهم ؟.. وإنك إذا لم تقبلها فسوف تقع الفتن والمشاحنات بين المسلمين، وربما وقعت بينهم الحروب الأهلية التى تقضى على مجد الإسلام وفتوحات المسلمين.

وتقدمت الجموع الغفيرة من المسلمين، فبايعوا عَلِيّاً ﷺ على الخلافة.

❑❑❑

(١) وقيل : كان عمره يومئذ اثنين وثمانين عامًا، قضى فى خلافته منها اثنى عشر عامًا.